بركة وانتم تعدونها تخويفا وقال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الما فقال اطلبوا فضلة
من ما فجاوا باناء فيه ما قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من
الله تعالى فلقد رايت الما ينبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو
يوكل اخرجه البخاري م عن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي
بعثت واني لاعرفه الان عن ابن عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع
فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح بيده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشي ففي هذه
الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض اهل المعاني تسبيح السموات والارض والجمادات
والحيوانات سوى العقلا بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكانها تنطق بذلك
ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول اصح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان الله
تعالى علم علما لا يقف والجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي ان يكل علمه اليه وقوله تعالى ولكن لا تفقهون
تسبيحهم اي لا تعلمون ولا تفقهون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغاتكم ولسانكم انه كان حليما غفورا
اي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح قوله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين
لا يومنون بالاخرة حجابا اي يحجب قلوبكم عن فهمه والانتفاع به وقيل حجابا مستورا عن اعين الناس فلا يرونه
كما روي عن سعيد بن جبير انه قال لما نزلت تبت يدا ابي لهب جات امراة ابي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله
عليه وسلم مع ابي بكر فلم تره فقالت لابي بكر اين صاحبك ولقد بلغني انه هجاني فقال لها ابو بكر والله
ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جيت بهذا الحجر لارضخ راسه فقال ابو بكر ما راتك يا رسول
الله فقال لم يزل ملك بيني وبينها وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه اي لئلا يفقهوه وفي اذانهم
وقرا اي ثقلا لئلا يسمعوه واذا ذكرت ربك في القران وحده يعني اذا قلت لا اله الا الله وانت تتلو القران
ولوا على ادبارهم نفورا جمع نافر نحن اعلم بما يستمعون به اي من الهزو بك وبالقران وقيل معناه نحن اعلم بالوجه
الذي يستمعون به وهو التكذيب به اذ يستمعون اليك اي وانت تقرا القران واذ هم نجوى اي وما يتناجون
به من امرك وقيل معناه ذو نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو ساحر وبعضهم يقول
هو كاهن او شاعر اذ يقول الظالمون يعني الوليد بن المغيرة ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي مطبوبا وقيل
مخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة ومعناه انه بشر مثلكم ياكل ويشرب قال الشاعر
ارانا موضعين لحتم غيب • ونسحر بالطعام وبالشراب • اي نغذى بهما انظر كيف ضربوا لك الامثال
اي الاشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون فضلوا اي في جميع ذلك وحاروا فلا يستطيعون سبيلا
اي الى طريق الحق وقالوا ائذا كنا اي بعد الموت عظاما ورفاتا اي ترابا وقيل الرفات الاجزا المتفتتة
من كل شي تكسر ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فيه انه استبعد والاعادة بعد الموت والبلى فقال الله
تعالى ردا عليهم قل اي قل لهم يا محمد كونوا حجارة يعني في الشدة او حديدا يعني في القوة وليس هذا بامر
الزام بل هو امر تعجيز اي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة او حديد في القوة او خلقا مما يكبر في صدوركم
قيل يعني في السما والارض والجبال بانهم اعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شي في نفس ابن ادم
اكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لاميتنكم ولابعثنكم فسيقولون من يعيدنا اي من يبعثنا
بعد الموت قل الذي فطركم اي خلقكم اول مرة فمن قدر على الانشا قدر على الاعادة فسينغضون اليك
رءوسهم اي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول ويقولون متى هو يعني البعث والقيمة

قل

قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب يوم يدعوكم اي من قبوركم الى موقف القيامة فتستجيبون بحمده قال ابن عباس
بامره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المومنين فانهم
يبعثون حامدين وتظنون ان لبثتم اي في الدنيا وقيل في القبور الا قليلا وذلك ان القيامة والخلود في الاخرة
وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيمة قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن وذلك ان المشركين
كانوا يوذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا
يعني للكفار التي هي احسن ولا تكافوهم على سفههم بل تقول لهم يهديكم الله تعالى وكان هذا قبل الاذن بالقتال
والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض الكفار فامره الله تعالى بالعفو وقيل امر الله المومنين
بان يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي احسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله ان الشيطان ينزغ بينهم
اي يفسد ويلقي العداوة ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي ظاهر العداوة قوله عز وجل ربكم اعلم بكم
ان يشا يرحمكم اي يوفقكم للايمان فتومنوا او ان يشا يعذبكم اي يميتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشا
يرحمكم فينجيكم من اهل مكة وان يشا يعذبكم اي يسلطهم عليكم وما ارسلناك عليهم وكيلا اي حفيظا وكفيلا قيل
نسختها اية القتال وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات
والمعدومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات يعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد
وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم واخلاقهم ومللهم واديانهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فيكون واتى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
واتى داود زبورا وذلك قوله تعالى واتينا داود زبورا وهو كتاب انزله الله تعالى على داود يشتمل على مائة وخمسين
سورة كلها دعا وثنا على الله وتحميد وتمجيد ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرايض ولا حدود ولا احكام **فان**
قلت لم خص داود في هذه الاية بالذكر دون الانبيا **قلت** فيه وجوه
احدها ان الله ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال واتينا داود زبورا وذلك ان داود اعطي مع
النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما اتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور في هذه المراد به العلم لا الملك
والمال الوجه الثاني ان الله كتب له في الزبور ان محمدا خاتم الانبيا وان امته خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه
الثالث ان اليهود زعمت انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله تعالى بقوله واتينا داود
زبورا ومعنى الاية انهم لم ينكروا فضل النبيين فكيف تنكروا فضل محمد صلى الله عليه وسلم واعطايه القران وانه
اتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد ان يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلايق
ذلك فضل الله يوتيه من يشا وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبيا عليهم السلام قوله عز وجل قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه وذلك ان المشركين اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا النبي صلى
الله عليه وسلم ليدعو لهم قال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
اي الجوع والقحط ولا تحويلا يعني الى غيركم او تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الاية الرد على المشركين
حيث قالوا ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا
لذلك الملك الذي عبدوه تمثالا وصورة وقد اشتغلوا بعبادته واحتج على بطلان قولهم بهذه الاية
وبين عجز الهتهم قال تعالى اولئك الذين يدعون يعني الذين يدعونهم المشركين الهة يبتغون الى ربهم
الوسيلة اي القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وامه وعزير والملائكة والشمس والقمر
والنجوم وقال ابن مسعود نزلت هذه الاية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم اولئك الجن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)